(من أحاديثِ حفظِ الدِّين في صحيحِ الألبانيّ)

دراسة بيانيّة

الباحثــة

أريج محمد محمود زاكي

ماجستير (أدب ونقد) من جامعة الملك عبد العزيز بجدة

(١٤٣٧هـ)

محاضرة متعاونة في فرع جامعة تبوك – أملج

كلية الآداب – قسم اللغة العربية

١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م

(**المُقدِّمة**)الحمد لله "والصلاة والسلام على من مدّت عليه الفصاحة رواقها, وسدّت به البلاغة نطاقها المبعوث بالآيات الباهرة والحُجج, المنزَّل عليه قرآن عربيّ غير ذي عوج"[1] ومن سار على نهجه واستنَّ بسنته إلى يوم الدين, وبعد: فإن في النصَّ النبوي من أناقة اللفظ وشرف المعنى وبراعة الأسلوب ما يغرى الباحث بالأخذ ويدفعه –حباً– لديمومة التنقيب وطول الوقوف, وإنَّه لمن عجب مُفضٍ إلى إدراك فضل الله سبحانه أن ترجع بعد عظيم الجهد والتناول وقد ازددت عطشاً ونهماً يستوجب إعادة كَرة البحث, وهذا ما تشهد به آلاف الدراسات وقد خُتمت باعترافٍ وتوصيةِ حفزٍ للراغبِ لينضمَّ ويُجلي شيئاً من كنوز هذه الأراضي الخصبة.ولا شك أن أقواله – صلى الله عليه وسلم — قد سُخِّرت لخير المسلم في دنياه وآخرته, ولعلَّ قوام ذلك حفظ دينه, كونه موطن حياة القلب, وسبب الظفر بعظيم العطايا في الدنيا والآخرة وعليه فقد اهتم صلى الله عليه وسلم بكل ما يكون به صون دين المرء, وحماية معتقده والحيلولة بينه وبين لوثة الأهواء والبدع والرزايا.

ويأتي هذا البحث للوقوف على نصوص حفظ الدين, وبيان ما تضمنته من شرف النُّصح وطرائق الصَّون, والكشف عن بديع منطقه صلى الله عليه وسلم, وما سخره من طرائق بيانية – كالتشبيه والاستعارة والكناية–, والتي تسهم إسهاماً بليغاً في تجلية المعنى في الذهن, وترسيخه في الجنان, ومن ثم حفز المسلم للعمل به فالنجاة بإذن الله.

وليس من شكٍ أنَّ هذه الدراسة ليست الأولى في تناول الصور البيانية في نصوصه صلى الله عليه وسلم, ولكن الوقوف عليها في أحاديث حفظ الدين خاصة, مما لم

[1] (شرح قطر الندى وبل الصدى) عبد الله بن يوسف (١٠)

يُسبق إليه في دراسة مستقلة حسبَ إفادة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات, وبناءً على البحث في مظانِّ البحوث ووسائطها.

ويسير البحث على المنهج الوصفي التحليلي المعنيّ بتناول نصوصٍ منتقاةٍ لحفظ الدين, وذلك بتأملها, ودراستها, والكشف عن مواطن حسن التصوير فيها, وتجلية أثرها في بيان المعنى وترسيخ المضمون, مسبوقة بمهادٍ يتضمن حديثاً عن بلاغته صلى الله عليه وسلم, ويكشف دلالة المصطلح (الدِّين), ويتناول نبذةً عن كتاب صحيح الجامع الصغير ومؤلفه الألباني, ثم يمضي البحث في ثلاثة مباحث, يُعنى الأول ببلاغة التشبيه, ويعنى الثاني, بالاستعارة, ويتناول الأخير شيئاً من بلاغة الكناية, ثم تكون الخاتمة بياناً لنتائج البحث وما انتهى إليه.

وعلى الله التُّكلان, وبيده التوفيق والسَّداد.

الباحثـة

(التمهيد)

أولاً: بلاغة النُّبوة:

إنَّه ما من تمهيدٍ أفضلَ وبدءٍ أوفى لدراسةٍ بيانيةٍ نبويةٍ من الإشارة إلى بلاغته – صلى الله عليه وسلم –, ووصف طرف من معجزته اللِّسانيّة, والتمثيلِ بشيءٍ من أقواله "فقد كان – صلى الله عليه وسلم – من ذلك بالمحلِّ الأفضل, والموضع الذي لا يُجهل, سلاسةَ طبع, وبراعةَ منزَع وإيجازَ مقطع, ونصاعةَ لفظ, وجزالةَ قول, وصحةَ معان, وقِلَّة تكلُّف, أوتي جوامع الكلم وخُصَّ ببدائع الحِكم, وعِلمِ ألسنةِ العرب, فكان يُخاطبُ كلَّ أمَّة منها بلسانها, ويُحاورها بلُغتها, ويُباريها في منزَع بلاغتها"[1], وقد هيأ الله – سبحانه وتعالى – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – جملة من العوامل والأسباب التي أثمرت شخصيته البيانية تلك, أوُّلُها عظيم فضله ومنته – سبحانه – على نبيه صلى الله عليه وسلم, بما آتاه من سمو الفطرة وصفاء الحِس وإلمامٍ بطرائق البيان والفصاحة ومقاماتهما[2], ثم ما كان من معجزة القرآن الكريم, وأثرها العظيم في بلاغته – صلى الله عليه وسلم – وفي بلاغة وعلم البشرية أجمع, ثم نشأته – صلى الله عليه وسلم – بين أفضل قبائل العرب قريشٍ وبني هاشمٍ وبني أسد وسعدٍ وغيرهم[3], إضافةً إلى ما تقتضيه دعوته – صلى الله عليه وسلم – من حاجةٍ إلى لسانٍ فصيحٍ بليغٍ يُلزم مدعُويه الحجة ويصل بمتلقيه إلى الاقتناع[4].

هذا وتتسم بلاغته – صلى الله عليه وسلم – بجملة من السِّمات التي تكشف عِظَم ما أوتي صلواته الله وسلامه عليه من حسن المنطق وبلاغة اللسان, تتقدمها

---

[1] (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) عياض بن موسى السبتي (١/ ١٦٧)

[2] يُنظر: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) مصطفى الرافعي (١٩٤)

[3] يُنظر: المرجع السابق (١٩٦)

[4] يُنظر: (من بلاغة الحديث الشريف) عبد الفتاح لاشين (١٤)

(جوامع الكلم) وهي ما تسمى في عُرف البلاغيين بـ (الإيجاز), يقول الرافعيّ: "أما القصدُ والإيجاز والاقتصار فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركةَ النفس"[١], أمثال قوله صلى الله عليه وسلم: [الآن حَمِيَ الْوَطِيسُ][٢], و[لاَ تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ][٣].

وإعطاؤه – صلى الله عليه وسلم – جوامع الكلم لا إعطاءَ تفردٍ ينفي وجوده فيما عداه من البشر – لا سيما الشعراء والأدباء – بل يعني "غلبته في بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم – وكونها – أي الجوامع – تعبر عن الكلام النبوي أدق تعبير، وتمثله أصدق تمثيل"[٤].

ومن سمات بلاغته – صلى الله عليه وسلم – تنزهها عن الصّنعة والتكلّف: يقول الجاحظ – واصفاً:- "وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: {وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}"[٥], ومنه اعتداله في تحلية كلامه – صلّى الله عليه وسلّم – بالسجع ومثله الطباق والجناس وسائر الفنون التي "جاءت في مواضعها الدقيقة خدمة للمعنى"[٦].

كما يمتاز بيانه – صلى الله عليه وسلم – بالأصالة: وخصوصية الأسلوب وتفرد النهج[٧], يدل عليها ما ابتكره – صلى الله عليه وسلم – من تراكيب جديدة, مِن

---

[١] (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) مرجع سابق (٢٢٩)

[٢] (صحيح الجامع الصغير وزيادته المشهور بالفتح الكبير) محمد الألباني (١/ ٥٣٤)

[٣] (صحيح البخاري) محمد البخاري, (١١٣/٢)

[٤] (سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد) عدنان زرزور (٢٧٣ – ٢٧٤) بتصرف

[٥] (البيان والتبيين) الجاحظ (١٣/٢)

[٦] (الخصائص البلاغية للبيان النبوي) محمد الحمزاوي (٨٧) بتصرف

[٧] يُنظر: (من بلاغة الحديث الشريف) مرجع سابق, (١٦- ١٧), و (الخصائص البلاغية للبيان النبوي) مرجع سابق (١٨٣)

مِثل قوله [الآنَ حَمِيَ الوَطِيس , و[هُدنةٌ على دَخَنٍ[1]], أو نقله لبعض الألفاظ من معانيها المعروفة إلى معان جديدة كما فعل مع لفظة (إمَّعة), في قوله: [لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً] [2].

وظاهرٌ ما تتسم به هذه البلاغة الفذَّة من جزالةٍ ورقَّةٍ مع دقةٍ في الوضع وحسن استعمال كلٍّ منهما في موضعه, وهما كما أشار ابن الأثير سمة للمعاني والموضوعات قبل الألفاظ, فمن الجزالة قوله في مقام التحذير من الفتن: [تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا...] [٣] وأما الرقّة فـ "تكون في الحديث عن الرحمة والمغفرة، والجنة ونعيمها، وفى الملاطفات في خطاب الأنبياء، وخطاب المنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى"[٤]، كقوله – صلّى الله عليه وسلّم –: [إِنَّ فِي الجَنَّةِ لشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لاَ يقطَعُهَا[5]], إضافة إلى السُّهولة والوضوح, والتَنوع والشُّمول والمرونة التي جعلت بعض أقواله يحتمل الكثير من المعاني إثراءً وتوسعةً على الأمة, ثم ما بها من سمو ورفعة وقوة وفخامة, تتداخل جميعاً لخدمة الهدف الأسمى الذي بُعث به[٦].

ولا يغيبنّ ما اتضح في بيانه صلى الله عليه وسلم من عناية بـ (التصوير وضرب الأمثال) مستعيناً بهما في قيامه بمهمة التبليغ مبرزاً بهما المعاني, مقرباً بهما ما بعد

---

[1] (صحيح الجامع الصغير) مرجع سابق (٥٧٥/١)

[2] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد, وذكر أن "فيه المسعوديَّ, وقد اختلط, وبقية رجاله ثقات" (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) علي الهيثمي (١٨٠/١ – ١٨١)

[٣] (صحيح الجامع الصغير) مرجع سابق (٥٦٩/١)

[٤] (الخصائص البلاغية للبيان النبوي) مرجع سابق (٨١)

[5] (صحيح البخاري) مرجع سابق (١١٩/٤)

[٦] (الخصائص البلاغية للبيان النبوي) مرجع سابق (١٨٦ – ١٩١)

وغمض, مربياً بهما النفوس حضاً ودفعاً أو كفاً ومنعاً[1], كقوله ممثّلاً [مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّت[2]].

هذا شيء من بحر بيانه صلى الله عليه وسلم, ترتشفه فتظمأ, وتحاول الحوط به فتعجز, نجعله توطئةً لما سنقف عليه من نصوص نبوية كريمة, سائلين المولى عز وجل أن يمدنا بعونه ويبصرنا بالكثير من زوايا منّتهِ البيانية على نبيه صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: الكشف عن المصطلح: الدِّين

تفيد مادة (الدِّين) في اللغة معانٍ عدة تنصهر جميعاً لتُجسِّد المعنى الاصطلاحي المعروف, فهي "تُؤخذ تارة من فعل مُتعدٍ بنفسه: (دانَه, يدينُه)، وتارة من فعل متعدٍ باللام: (دانَ لهُ)، وتارة من فعل متعدٍّ بالباء: (دانَ بهِ)، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة"[3].

فإذا تعدّى الفعل بنفسه فله معنيان: أولهما: الملك والذُّل والاستعباد, يُقال: "دَانَهُ: (أَذَلَّهُ) واسْتَعْبَدَه"[4], ومنه (الدَّين) بفتح الدّال لما يخلقه من شعور بالذِّلة والإلزام للمَدِين.

وثانيهما: "الجزاءُ والمكافأةُ. يقال: دانَهُ ديناً، أي جازاه, ومنه قولهم: كما تَدينُ تُدانُ أي كما تُجازي تُجازَى، أي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت" ومنه قوله

---

[1] المرجع سابق (١١٢)

[2] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٨٦/٨)

[3] (الدِّين, بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) محمد عبد الله دراز (٣٠)

[4] (تاج العروس) الزبيدي (٣٥ – ٥٨)

تعالى:{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ}[1] قال ابن كثير: "أي: مجزيُّون مُحاسبون"[2]. ومنه الدَيَّانُ في صفة الله تعالى. وقومٌ دينٌ، أي دائنونَ"[3], ومنه تسمية يوم القيامة بيوم الدِّين, لما يقع فيه من إدانة الخلائق ومحاسبتهم على أعمالهم[4].

أما تعدية الفعل باللام فمعناه الخضوع والطاعة "يُقال: دانَ لهُ يدينُ دِيناً, إذا أصحبَ وانقاد وطاع, وقومٌ دِينٌ, أي: مُطيعون مُنقادون, والمدينة: الأمَةُ, والعبدُ مَدين, كأنهما أذلّهما العمل فأما قولهم إنَّ العادة يُقال لها دِين, فإن كان صحيحاً فلأنَّ النفس إذا اعتادت شيئاً مرَّت معه وانقادت لهُ"[5], ومنه صفة: الديَّان لله – سبحانه وتعالى– "فعَّال من دانَ الناس, أي: قهرهم على الطاعة"[6].

أما تعدية الفعل بالباء (دانَ به) أي: اتخذه ديناً ومذهباً وعادة, "تقول العرب: ما زالَ ذلك ديني ودَيدني أي: عادتي"[7], ومنه قول المثقِّب العبدي على لسان ناقته[8]:

تقولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيني أَهذا دِينُه أَبَداً ودِيني؟

أي: أهذا دأبه وديدنه؟!

يقول محمد دراز: "وجملة القول في هذه المعاني اللُّغوية أن كلمة (الدِّين) عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظِّم أحدهما الآخر ويخضع له, فإذا وُصف بها الطرف

---

[1] [الصافات : ٥٣]

[2] (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير (١٣٤/١)

[3] (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري (٥/ ٢١١٨)

[4] يُنظر: (تفسير ابن كثير) (١-١٣٤)

[5] (مقاييس اللغة) ابن فارس (٢ / ٣١٩)

[6] (لسان العرب) ابن منظور (١٣- ١٦٧)

[7] المرجع السابق (١٦٩/١٣)

[8] (ديوان المثقِّب العبدي) (١٩٥)

الأول كانت خضوعاً وانقيادًا، وإذا وُصف بها الطرف الثاني كانت أمرًا وسلطانًا، وحُكْمًا وإلزامًا، وإذا نُظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدّستور المنظِّم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبِّر عنها ونستطيع أن نقول: إن المادة كلها تدور على معنى لُزوم الانقياد، ففي الاستعمال الأول، الدِّين هو: إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني، هو: التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث، هو المبدأ الذي يُلتزم الانقياد له"[١].

أما الدين في الاصطلاح: فهو "وضعٌ إلهي يُرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السُّلوك والمعاملات"[٢].

والإسلام هو الدين والشرع الذي ارتضاه الله – سبحانه – لعباده, وقد بطُل به ما سواه من أديان سماوية وغيرها, قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[٣] وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[٤].

ومن تمام نعم الله – سبحانه وتعالى – أن بيَّن لعباده المسلمين ما يكون به حفظ دينهم, إذ أن الإنسان –كما هو معلوم– في جهاد دائم مع أعدائه[٥] الذين يسعون دوماً لزعزعة هذا القلب وأخذه إلى طريق الضلال والضياع, وليس ثمة خسارة توازي انحراف المسلم عن دين الفلاح والهداية, وقد روي عن أنس رضي الله عنه

---

[١] (الدِّين, بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) مرجع سابق (٣١)

[٢] المرجع السابق (٣٣)

[٣] [المائدة: ٣]

[٤] [آل عمران: ٨٥]

[٥] إني بُليتُ بأربعٍ ما سُلّطوا إلا لأجـلِ شقاوتِي وعنائِـي
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى كيفَ الخلاصُ وكلُّهم أعدائي؟! (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) إسماعيل بن محمد الجراحي (١٦١/١)

قوله: [كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: اللهُمَّ يَا مُقلبَ القُلوبِ ثَبتْ قَلبِي عَلى دِينِك][1].

ولا شك أن الدين هو أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها, قال الشاطبي في الموافقات: "فقد اتفقت الأمة –بل سائر الملل– على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس, وهي: الدِّين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد، ولو استندت إلى شيء معين لوجب عادة تعيينه، وأن يرجع أهل الإجماع إليه، وليس كذلك"[2].

"ويقدم (حفظ الدين) من الضروريات على ما عداه عند المعارضة؛ لأنه المقصود الأعظم، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}[3] وغيره مقصود من أجله، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين"[4].

وهذا البحث يقف على أحاديث حفظ الدين وأوامره ونواهيه – صلى الله عليه وسلم – التي تهدف إلى إبقاء هذا القلب في مأمن وسلامة, نعالج فصاحته – صلى الله عليه وسلم – في صوغها, ونكشف شيئا من بديع بلاغته صلى الله عليه وسلم في بيانها.

---

[1] (الأدب المفرد) الألباني (٣٥٨)

[2] (الموافقات) الشاطبي (١/ ٣١)

[3] [الذاريات: ٥٦]

[4] (التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام) ابن أمير الحاج (٣/ ٢٣١)

ثالثاً: التعريفُ بمؤلّف صحيحِ الجامعِ الصغيرِ وكتابِه:

أ- التعريفُ بالإمامِ الألبانيّ:

هو أبو عبد الرحمن محمد بن نوح نجاتي الشهير بمحمد ناصر الدين الألبانيّ[١], وُلد في أشقودرة الألبانيّة سنة ١٣٣٢هـ, في أسرة متدينة, هاجر وأسرته إلى دمشق, وهناك تلقى العلم على أيدي العلماء أمثال الشيخ سعيد البرهاني وراغب الطباخ[٢], اتجه الألبانيّ إلى علم الحديث في نحو العشرين من عمره, متأثرا بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا لأنها مهدت له السبيل إلى كتب التخريج, فاجتهد حتى استقامت له طريقته في تفهُّم النُّصوص[٣], وقد كان الإمام – لنشاطه وجده– مرجعاً للحديث يأتيه العلماء والأساتذة وطلبة العلم من مختلف البلاد[٤].

وقد اتسم –رحمه الله– بخلق العلماء من الأمانة العلمية بعزو كل قول إلى قائله[٥], وإنصاف المخالف, كاهتمامه بالوقوف على كلام الخصم بنفسه قبل الرد عليه, وكاعترافه ورجوعه عند وضوح الحق لديه[٦], إضافة إلى تواضعه, إذ لم يرق له يوماً مدح مادح, ولا ثناء محب, فإكثاره من الدعاء (اللهم لا تؤاخذني بما يقولون, واجعلني خيراً مما يظنون, واغفر لي ما لا يعلمون)[٧].

---

١ يُنظر: (محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته) عصام موسى (٩)

٢ يُنظر: (حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه) محمد الشيباني (٤٤ – ٤٥) ويُنظر: (محدث العصر) مرجع سابق (١٠)

٣ يُنظر: المرجع سابق (٤٩) ويُنظر: (محدث العصر) مرجع سابق (١١)

٤ يُنظر: (حياة الألباني) مرجع السابق (٧٣ – ٧٦)

٥ يُنظر: (محدث العصر) مرجع سابق (١٨)

٦ يُنظر: المرجع السابق (١٩)

٧ المرجع السابق (٢١)

وقد خلّف –رحمه الله– الكثير من الآثار التي تتنوع بين مؤلفات, وتحقيقات علمية, وتخريجات واختصارات. **فمن مؤلفاته:** صحيح الترغيب والترهيب, وسلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة. **ومما حقّقه:** رياض الصالحين للنووي, والكلم الطيب لابن تيمية, **ومما خرَّجه:** صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للسيوطي, **ومما اختصره:** صحيح ابن خزيمة لمصطفى الأعظمي, ومختصر شرح العقيدة الطحاوية[1].

وقد توفي – رحمه الله – إثر مرض أصابه في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠هـ, ودفن في مقبرة جبل الهملان بالأردن[2].

ب) التعريفُ بصحيحِ الجامعِ الصغيرِ وزيادته:

انتُقِيت مادة البحث من كتاب (صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني), وأصل الكتاب هو (الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير) للإمام السيوطي[3] – رحمه الله – الذي أخذ عليه الألباني عدة مآخذ منها: فوتُ عددٍ كبيرٍ من الأحاديث, وهو ما استدركه السيوطي نفسه في ذيله المسمى (الزيادة على الجامع الصغير), وقد ضمها يوسف النبهاني إلى الكتاب الأصل وسماها (الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير), ومنها كونُ أحاديثه لم ترتب ترتيباً دقيقا, وإن نصَّ في مقدمته – أي السيوطي– أنه رتبها على حروف المعجم؛ مما له أثره في التَّعسير على

---

١ (حياة الألباني) مرجع سابق (٦٢٢ – ٩٠٥)

٢ (محدث العصر) مرجع سابق (٦١)

٣ هو جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الأسيوطي, ولد بالقاهرة عام ٨٤٩ هـ, بدأ في طلب العلم منذ سن الخامسة عشرة, وبرع في كثير من العلوم وتشهد مؤلفاته الكثيرة بذلك, منها: الأشباه والنظائر, التحبير في علوم التفسير, الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير, طوق الحمامة, عقود الجمان, توفي سنة ٩١١هـ, يُنظر: (جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي) طاهر سليمان.

الباحث وهدر وقته في الوصول إلى الحديث المقصود, ومن المآخذ احتواؤه على الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة, ونقدها صحة وضعفاً والذي لم يقم به أحد, إلا العلامة المناوي[1] في كتابه (فيض القدير شرح الجامع الصغير) لكنه أيضا لم يستوعب بالنقد جميع أحاديثه, ولم يتناول أحاديث الزيادة, فوفق الله الشيخ الألباني للتصدي لهذه المهمة وبذا خرج كتاب (صحيح الجامع الصغير وزيادته) وقسيمه (الضعيف)[2].

• المبحث الأول: من بلاغة التشبيه[3]:

لاشكّ أن للتشبيه شأنُه في البيان, وشأوُهُ الظاهر للعيان, الذي يتمثل في إحيائه الألفاظ وإثرائه المعاني, بكثيرٍ من الإيضاح والتأكيد والإيجاز, أو بشيءٍ من المبالغة[4] واللَّفتات التي ينضحُ بها كلٌّ معنىً عن سِواه, إضافة إلى كثرة أنواعه وتعدد تقسيماته واتكاءِ غيره عليه, يقول العسكري: "والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا؛ ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه"[5], ويقول الزمخشري: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى

---

١ هو عبد الرؤوف بن علي المَناوِيّ الشَّافعي, ولد سنة ٩٦٢هـ, كان إماماً فاضلاً عابداً, جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره, يشهد بذلك كثرة مؤلفاته, ومنها: التيسير شرح الجامع الصغير, شرح منازل السائرين, مفتاح السعادة, عماد البلاغة, وغيرها الكثير, توفي سنة ١٠٣١هـ, يُنظر: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) محمد المحبي (٤١٢/٢ – ٤١٦)

٢ ينظر: (ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته على الأبواب الفقهية) عوني نعيم الشريف, علي حسن عبد الحميد (٥ – ٧)

3 التشبيه: "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر, قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر, بأداة لغرض يقصد المتكلم للعلم" (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع) أحمد الهاشمي (٢١٩)

٤ يُنظر: (المثل السائر) ابن الأثير (٩٨/٢)

٥ (الصناعتين: الكتابة والشعر) أبو هلال العسكري (٢٤٣) بتصرف

تريك المُتخيَّل في صورة المحقَّق، والمُتوهَّم في معرض المُتيقَّن، والغائب كأنه مشاهَد, وفيه تبكيتٌ للخصمِ الألدّ، وقمع لسَورة الجامح الأبيّ، ولأمرٍ ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكلام الأنبياء والحكماء"[1].

وأساس روعته ومنشأ بلاغته في كونه "ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه، أو صورة بارعة تمثّله وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها"[2].

ولما كان هذا شأن التشبيه وهذه أياديه في إيصال أغراض النفس من الألفاظ بأسرع صورة وأبلغها, كان لابُدَّ أن يظهر ويعلو في أحاديث أفصح الخلق وأبلغهم – صلوات الله وسلامه عليه — ومن بينها نصوص حفظ الدين والتي اشتملت من عظيم المعاني ما يلزم كشفها وإيصالها بكل طريق, تحقيقاً لغرض ثبات المؤمن وصوناً لملته من الضَّلال.

ومن صور التشبيه الواردة قوله صلى الله عليه وسلم: **[إِنِّي تارِكٌ فِيكمْ مَا إِن تَمَسَّكتُمْ بهِ لنْ تَضِلُّوا بَعْدِي, أَحَدُهُما أعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ وعِتْرَتِي[3] أَهْلُ بَيْتِي[1], ولَنْ يَتَفَرَّقا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فانْظُرُوا كيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِما]**[4].

---

[1] (الكشاف) الزمخشري (٧٢/١)

[2] (جواهر البلاغة) مرجع سابق (٢٤٥)

[3] "عِترة الرجل: أقرباؤه من ولد غيره, وقيل هم رهطه وعشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غبر" (لسان العرب) مرجع سابق (٥٣٨/٤)

[4] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٤٨٢)

وهذا حديث النجاة, يأخذ فيه النبي صلى الله عليه وسلم البشرية إلى ما يكون بعد موته, إذ لا ريب أن عيش النبي صلى الله عليه وسلم بين أكناف المسلمين كان مصدرا للأمن ومحطاً للسكينة بعد الله سبحانه, ولأن الدنيا فُطِرت على الفتن, ولأن البشرية قد عاصرت – ولا تزال – تقلباتها, أهدى إمام الرحمة للمسلمين من بعده طوقي نجاة, وأرشدهم للتمسك بهما حفظا لقلوبهم من الضلال, وهما: كتاب الله, وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد وقع التشبيه في قوله صلى الله عليه وسلم (كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض) ومعلوم أن دلالة لفظ (حبل) تختلف باختلاف السِّياق اللغوي[1], فقد يراد بالحبل الأمان كما في قوله صلى الله عليه وسلم[2]: [اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ[3]] وقد يراد به العهد, كما في قول بعض الأنصار –رضي الله عنهم– "بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها"[4], أما الحبل هنا فبعناه المعهود: وهو السبب الموصل إلى الشيء – النجاة –, بدلالة تقييدها بالحال (ممدود), ولا بأس في انصهار كلٍّ مما سبق من معانٍ في هذا السياق إذ أن كتاب الله أمان من الضلالة بدلاة ما جاء قبلها (ما إن تمسكتم به لن تضلوا), وهي عهد محقَّق الوفاء: { وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}[5], وبالتالي نجاة لصاحبه (المتمسك) وفوزا بنعيم الدارين, كما قال سبحانه:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[6], وهنا تكمن

---

[1] ينظر: (لسان العرب) مرجع سابق (١١/ ١٣٤-١٣٥)

[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلَّى على رجل فقال: [اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ فَأَعِذْهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ أَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيم](صحيح ابن حبان) (٧/ ٣٤٣)

[3] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) علي القاري (٣/ ١٢٠٩)

[4] (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) القسطلاني (١٠/ ٢٩٧)

[5] [التوبة: ١١١]

[6] [آل عمران: ١٠٣], يقول ابن عاشور: "والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل أُلقيَ من منقذٍ لهم من غرق أو سقوط, وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل" (التحرير والتنوير) ابن عاشور (٤/ ٣١)

جماليّة التشبيه البليغ[1], شبَّه صلوات الله وسلامه عليه القرآن بالحبل, في إنقاذه لصاحبه وإيصاله إلى رحمة الله ورضوانه, يقول الطيبي: "وفيه تلويح إلى قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}[2] كأن الناس واقعون في مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتها، وأن الله يريد بلطفه رفعهم فيدلي حبل القرآن إليهم ليخلصهم من تلك الورطة، فمن تمسك به نجا، ومن أخلد إلى الأرض هلك"[3].

والمراد بالتمسك بكتاب الله سبحانه العمل بما فيه, بالوقوف على أوامره ونواهيه, أما التمسك بآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم فمحبتهم والاهتداء بهديهم[4] , يقول القاري معلّلاً اقتران آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الله نجاة وإنقاذاً: "الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله, فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته, العارفون بحكمه وحكمته, ولهذا يصلح أن يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه"[5].

***

ومن التشبيه التمثيلي[6] قوله صلى الله عليه وسلم: **[أَلا إنَّ مَنْ قَبْلَكمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ افْتَرَقوا على ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ مِلّةً وإنَّ هذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ على ثلاثٍ وسَبْعِينَ ثِنْتانِ وسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَواحِدةٌ فِي الجَنةِ وهِيَ الجَماعَةُ وإنهُ سَيَخْرُجُ مِنْ**

[1] هو: "ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه" (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع) مرجع سابق (٢٣٨)

[2] [الأعراف: ١٧٦]

[3] (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (١٢/ ٣٩٠٩)

[4] ينظر: المرجع السابق (١٢/ ٣٩٠٩)

[5] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٩/ ٣٩٧٥)

[6] وهو ما كان وجه الشبه فيه "وصف منتزع من متعدد" (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) عبد المتعال الصعيدي (٣/ ٤٣٠)

أَمَّتِي أقوَامٌ تَجارَى بِهِمْ تِلكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجارَى الكَلَبُ لِصاحِبِهِ لَا يَبْقَى منْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إلاّ دَخَلَهُ][1], وهذا حديث لإظهار خطر اتباع الهوى وما يمليه من ركون للبدع والضلالات, يخبر به صلوات الله وسلامه عليه عن انقسام أمة الإسلام –كسابقتها– إلى فرق كثيرة إحداها نائل الفوز بالجنان وهم أهل السنة والجماعة, أرباب العلم والفقه, المستمسكون بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قولا وعملا, مجتنبو البدع سليمو المعتقد[2], يقول شُريح: "إن السنة قد سبقت قياسكم, فاتبع ولا تبتدع, فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر"[3].

ويظهر التشبيه التمثيلي في قوله صلى الله عليه وسلم (وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلَب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله), والأهواء جمع هوى وهو "حبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه"[4] وغلب إطلاقه على "المرغوب المذموم"[5] المبعد صاحبه عن طريق الحق, "ويُقال: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى الداهية, وفي الآخرة إلى الهاوية"[6], لذا فقد صرَّحت الكثير من النصوص القرآنية والنبوية بالتحذير منه كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[7] , يقول ابن عاشور: "ونهيُ الخائف نفسَه مُستعارٌ للانكفاف عن تناول ما تحبُّه النفس من المعاصي والهوى, فجُعلت نفسُ الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة, والمراد بالهوى ما تهواه النفس فهو مصدر

---

[1] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٥١٦)

[2] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦٠), و(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) عبيد الله المباركفوري (١/ ٢٧٨)

[3] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٤١)

[4] (لسان العرب) مرجع سابق (١٥/ ٣٧٢)

[5] (التحرير والتنوير) مرجع سابق (٣٠/ ٩٢)

[6] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٤٠)

[7] [النازعات: ٤٠، ٤١]

بمعنى المفعول مثل الخلق بمعنى المخلوق, فهو ما ترغب فيه قُوى النفس الشَّهَوِيّة والغَضَبِيّة مما يُخالف الحقَّ والنفع الكامل"[1].

أما الهوى في الحديث فالمراد به البدعة, وقد جُمعت إيذانا "وتنبيهاً على اختلاف أنواع الهوى وأصناف البدع"[2], وهي كذلك مجاز مرسل علاقته السببية, لأن هوى الإنسان هو ما يدفعه إلى الابتداع وفساد الرأي والعمل[3], وبدلالة التصريح بنجاة (الجماعة), فكأن ذكر الأهواء وما سيق من تشبيه لإظهار آثارها إبراز لسبب خسارة الفرق الاثنان والسبعون وانتهائهم إلى النار أعاذنا الله من ذلك.

وقد شبّه صلوات الله وسلامه عليه حال الضالين من أهل البدع, وانغماسهم في مستنقع الأهواء, وتشربهم قلبا وفكراً وقولا وعملا بتلك البدع, ثم دورهم في نقل هذا الوباء إلى غيرهم بحال صاحب الكلَب, "والكلَب -بتحريك اللام-: داءٌ يُعرَض للإنسان من عضِّ الكلْب الكَلِب, فيصيبه شبه الجُنون, فلا يعضُّ أحداً إلى كلِب, وتعرِض له أعراضٌ رديئة, ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً"[4] فكما يسري هذا الداء في عروق صاحبه ومفاصله وجميع زواياه كذلك تفعل البدعة بصاحبها, وكما يتعدّا ضرر داء الكلَب إلى الغير حتى ينتهي به إلى الهلاك فكذلك تفعل البدعة بكل من انتقلت إليه[5], إذ أن "المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلّما يسلم من غائلته، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكاً يطمع في الانفصال عنه فلا يقدر، هذا بخلاف سائر المعاصي، فإن صاحبها لا يضاره ولا يدخله فيها غالباً إلا مع طول الصحبة

---

[1] (التحرير والتنوير) مرجع سابق (٣٠/ ٩٢) بتصرف

[2] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦٠)

[3] يُنظر: المرجع السابق (١/ ٢٦٠)

[4] (النهاية في غريب الحديث والأثر) ابن الأثير الجزري (٤/ ١٩٥)

[5] ينظر: (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٤١-٦٤٢)

والأنس به، والاعتياد لحضور معصيته، وقد أتى في الآثار ما يدل على هذا المعنى، فإن السلف الصالح نهوا عن مجالستهم، ومكالمتهم, وأغلظوا في ذلك"[1], ولعمري أي هويّة كهذه, وأيُّ ضلال, يقول تعالى[2]: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}[3].

ومن التشبيه المرسل[4] المفصَّل[5] قوله صلى الله عليه وسلم: **[قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ]**[6].

وهذا نص شريف آخر في سبيل حفظ الدين والنجاة من الفتن والشبهات, يخبر فيه صلوات الله وسلامه عما أطلعه الله عليه من غيب آتٍ بعد وفاته, ويدعو فيه إلى التزام سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده عصمة لدينهم, وثنى بالأمر بطاعة ولي الأمر على أيّ هيئة كان صوناً لصفوف المسلمين من التفرق المستجلب طمع العدو في ملكهم.

---

[1] (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٧٨) بتصرف

[2] [القصص: ٥٠]

[3] "ووجه كونه لا أضل منه أن الضلال في الأصل خطأ الطريق وأنه يقع في أحوال متفاوتة في عواقب المشقة أو الخطر أو الهلاك بالكلية، على حسب تفاوت شدة الضلال, واتباع الهوى مع إلغاء إعمال النظر ومراجعته في النجاة يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضرّ بدون تحديد ولا انحصار, فلا جرم يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال فصاحبه أشد الضالين ضلالاً" (التحرير والتنوير) مرجع سابق (٢٠/ ١٤١)

[4] هو "ما ذُكرت أداته" (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) مرجع سابق (٣/ ٤٥٠)

[5] هو ما ذكر فيه وجه الشبه, ينظر: المرجع السابق (٣/ ٤٣٤)

[6] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ٨٠٥)

ثم أكد صلوات الله وسلامه عليه أمره هذا بتشبيه مرسل مفصل: (فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد), جاء في لسان العرب: البعيرُ الأنِف الذي عقره الخِطام, وإن من خزامة في أنفه فمعناه أنه ليس يمتنع على قائده في شيء للوجع, فهو ذلولٌ مُنقاد, وقيل: الجمل الأنِف: الذَّليل المُؤاتي الذي يأنف من الزجر ومن الضرب, ويعطي ما عنده من السّير عفواً سهلاً ووجه الشبه بين المؤمن والجمل الأنف في ذلكم الانقياد, وهو انقياد للحق وفي الحق[1], "فالمؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حقٍّ صبر عليه وقام به"[2], كما أن المؤمن لا يأنف عن قبول الحق متى وأين جاءه[3], لسانُ حاله {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[4].

وقد تكرر هذا الوصف للمؤمن – أيضا– في قوله صلى الله عليه وسلم: [الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كالجَمَلِ الأَنِفِ إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِذَا أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ][5] وتلك إشارة إلى شدة انقياد المؤمن للشرع في أوامره ونواهيه, وإلى مقدار ما يدفعه من صبر وتحمل للمشاق كما يكابد الجمل المشقة عند الإناخة[6].

ويؤيّد تلبُّس المؤمن بهذه الصفة قوله صلى الله عليه وسلم في سياق الأمر (عضّوا عليها بالنواجذ), والنواجذ "أَقصى الأَضراس، وقيل: النواجذ التي تلي الأنياب, وقيل: بل الأضراس كلها نواجذ"[7] ومنه ما تكرر في الأثر [فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ][8], والعض على النواجذ هنا كناية عن شدة

---

[1] ينظر: (لسان العرب) مرجع سابق (٩/ ١٣)

[2] المرجع السابق (٩/ ١٣) بتصرف

[3] ينظر: (مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه) محمد بن موسى (١/ ٥٤٧)

[4] [البقرة: ٢٨٥]

[5] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ١١٣٢)

[6] ينظر: (مجمع بحار الأنوار) محمد الكجراتي (١/ ١٠٩)

[7] (لسان العرب) مرجع سابق (٣/ ٥١٣)

[8] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلَكْتُ. قَالَ: «وَمَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «تَسْتَطِيعُ تُعْتِقُ رَقَبَةً» قَالَ: لاَ. قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» قَالَ: لاَ. قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ

التمسك بالسنة, أو لعلَّه تشبيه تمثيلي شبه فيه حال المؤمن في حرصه والتزامه وشدة متابعته لأمر الله وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بحال من أمسك بنواجذه شيئا حرصاً عليه وحفظاً له من الفوات "لأن النواجذ محدودة فإذا عضت على شيء نشبت فيه فلا يتخلص"[1], أو تشبيهاً للمؤمن في صبره على ما يلاقيه في ذات الله بمن عض على نواجذه لما أصابه من ألم ووجع[2], يقول صاحب الرقاة: "لأن تحصيل السعادات الحقيقية بعد مجانبة كل صاحب يفسد الوقت، وكل سبب يفتن القلب منوَّطٌ باتباع السنة بأن يمتثل الأمر على مشاهدة الإخلاص، ويعظم النهي على مشاهدة الخوف، بل باقتفاء آثار الرسول – صلى الله عليه وسلم – في جميع موارده ومصادره وحركاته وسكناته ويقظته ومنامه حتى يلجم النفس بلجام الشريعة، ويتجلى في القلب حقائق الحقيقة"[3].

• المبحث الثاني: من بلاغة الاستعارة[4]:

تُعدُّ الاستعارة "أحد أعمِدة الكلام، وعليها المعوَّل في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر"[5] وهي أحدُ قسمي المجاز, وتتكئ في علاقتها على التشبيه الذي حُذف أحدُ طرفيه فصيَّرهما شيئاً واحداً, ومن هنا

تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَ: لاَ. قَالَ: «اجْلِسْ» فَجَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ – وَالعَرَقُ المِكْتَلُ الضَّخْمُ – قَالَ: «خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» قَالَ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «أَطْعِمْهُ عِيَالَكَ» (صحيح البخاري) مرجع سابق (٨/ ١٤٤)

[1] (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) محمد الشافعي (٢/ ٤١٨)

[2] ينظر: (عون المعبود وحاشية ابن القيم) محمد الصديقي (١٢/ ٢٣٥), و(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) مرجع سابق (٢/ ٤١٨)

[3] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٥٣)

٤ هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة, يُنظر: (الإيضاح في علوم البلاغة) القزويني (١/ ٦٥)

[5] (الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره) القاضي الجرجاني (٤٢٨)

فَضُلَت على التّشبيه, وعلَتْ قيمةً وحسّاً ووفاءً بالمعنى عليه, فبها "ينقلب المعقول محسوسا تكاد تلمسه اليد, وتبصره العين ويشمه الأنف, وبالاستعارة تتكلم الجمادات, وتتنفس الأحجار, وتسري فيها آلاء الحياة"[1] يقول الجرجاني "فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً, والأعجم فصيحاً, والأجسام الخُرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية, إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل, كأنها قد جسِّمت حتى رأتها العيون, وإن شئت لطَّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون"[2], ويقول ابن رشيق: "الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها"[3].

وعليه ولعلو قيمتها وعظيم دورها في كشف أستار المعاني وبيان خفاياها كثرة في نصوص حفظ الدني من ذلك ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: **[آمُرُكمْ بِخَمْسٍ أمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ الجَماعَةِ والسّمْعِ والطَّاعَةِ والهِجْرَةِ والجِهادِ فِي سَبيلِ اللَّهِ فإنّهُ منْ فارَقَ الجَماعَةَ قيدَ شِبْرٍ فقدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنْقِهِ إلا أنْ يُرَاجِعَ ومنْ دَعا بِدَعْوَةِ الجاهِلِيّةِ فَهُوَ منْ جُثاءِ جَهَنّمَ وإنْ صامَ وصَلّى وزَعَمْ أنَّهُ مُسْلِمٌ فادْعُوا بِدَعْوَةِ اللَّهِ الّتي سَمَّاكُمْ بِهَا المُسْلِمِينَ المُؤْمِنينَ عِبادَ اللَّهِ**[4]] وهذا الحديث في الأمر بلزوم الجماعة والسمع والطاعة لأوامر الدين ونواهيه, والهجرة والجهاد

---

[1] (البلاغة العربية في ثوبها الجديد, علم البيان) بكر أمين (١١١)

٢ (أسرار البلاغة) محمود محمد شاكر (٤٣)

[3] (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ابن رشيق القيرواني (١/ ٢٦٨)

4 (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٣٥٦)

بنوعيهما[1], ثم سيقت الاستعارة تحذيراً في قوله (فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).

والمراد بالجماعة صحابة رسوله الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من السلف الصالح, ممن يجب التمسك بهديهم والانخراط في زمرتهم، وخلافه من ترك السنة واتباع البدعة هي صفة مفارق الجماعة[2] الوارد التحذير من أثرها العظيم في سياق الاستعارة التصريحية[3].

و "الرِبقُ بالكسر: حبل فيه عدّة عُرىً، تُشَدُّ به البُهُمُ, والواحدة من العُرَى: رِبْقَةٌ, والجمع رِبَقٌ وأَرْباقٌ ورِباقٌ"[4], والمراد بـ ـ(ربقة الإسلام): ذمته[5], شبَّه ما يشُدُّ به المسلم نفسه من عرى الإسلام وحدوده وأحكامه بالربقة وقد شدت على عنق البهم, والجامع بين المستعار له والمستعار منه (الحفظ), إذ أن ربقة البهم هي سبيل لحفظها من التيه والضياع بعيدا عن أرضها وجمعها, كذلك التزام حدود الإسلام والوقوف على أوامره ونواهيه هو حفظ لدين المسلم وصوناً له من الضلال, وبالتالي فإن خروج المسلم عن هذه الأحكام هو خلع وخروج عن طاعة الله ورسوله[6].

وقوله (قيد شبر) أي بأيّ قدر كانت المخالفة وكان الانحراف عن الجماعة, وعليه

---

[1] أراد "بالهجرة الانتقال من دار الكفر إلي دار الإسلام, ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد بها ترك المعاصي، والرجوع عنها إلي الطاعات كما قال صلى الله عليه وسلم: [والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب] والمراد بالجهاد الجهاد مع الكفار، ويحتمل أن يراد به الجهاد مع النفس بكفها عن شهواتها ومنعها عن لذاتها؛ فإن معاداة النفس مع الشخص أقوى وأضر من معاداة الكفرة معه" (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٨/ ٢٥٧٤)

[2] ينظر, المرجع السابق (٨/ ٢٥٧٤), و(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦٩)

[3] "وهي ما صُرّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه" (علم البيان) عبد العزيز عتيق (٣٩)

[4] (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) مرجع سابق (٤/ ١٤٨٠) بتصرف

[5] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦٩)

[6] ينظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر) مرجع سابق (٢/ ١٩٠), و(معالم السنن) الخطابي (٤/ ٣٣٤), و (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٥٠), وقال القاري: "المراد المبالغة في التخويف والتنفير عن هذه المفارقة والمخالفة للإعلام بأن المداومة على ذلك تؤدي إلى الخلع الحقيقي" (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦٩)

فمن فعل ذلك "وترك السنة وارتكب البدعة ولو بشيء يسير فقد نقض عهد الإسلام ونزع يده عن الطاعة"[1], يقول الطيبي: "لما شبَّه صلوات الله عليه الإمام بالراعي، وسوء مراعاته الرعيّة بالحُطمة في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن شر الرّعاء الحطمة) ضرب في هذا الحديث مثلاً للرعية بـ (البهم) التي جمعها الربق في سلك واحد، فرشَّح الاستعارة بالقيد والشبر"[2].

وثمة استعارة تصريحية أخرى في قوله صلى الله عليه وسلم (ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم), والمراد بدعوة الجاهلية ما عُرف فيها من نداء الرجل قومه وإسراعهم إلى نصرتهم ظالما كان أو مظلوما جهلاً منهم وعصبية[3], وقيل بل المراد سنن الجاهلية بالعموم[4] مما خالفت كتاب الله وسنة ورسوله صلى الله عليه وسلم.

والجثاء والجِثوة: الربوة الصغيرة, والكومة من التراب[5], , فقوله (من جثاء جهنم) أي: "من جماعتها"[6], شبّه أصحاب النار الخاسرون بدخولها – أعاذنا الله من ذلك – بالكومة من التراب[7], ووجه الشبه الكثرة والازدحام – والله أعلم – كما دلَّت نصوص الكتاب والسنة على ذلك, قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[8], وقال صلى الله عليه وسلم: [يَقُولُ الله تَعالى: يَا آدَمُ, فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ, فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ:

---

[1] (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة) البيضاوي (٢/ ٥٥٣)

[2] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٨/ ٢٥٧٥)

[3] ينظر: (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة) مرجع سابق (٢/ ٥٥٣ – ٥٥٤)

[4] ينظر: المرجع السابق (٢/ ٥٥٤)

[5] ينظر: (تاج العروس) مرجع سابق (٣٧/ ٣٢٤)

[6] (فيض القدير) عبد الرؤوف المناوي (٢/ ١٧٦), و(تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة) مرجع سابق (٢/ ٥٥٤)

[7] "وروي من [جُثِيّ جهنم] بضم الجيم وتشديد الياء, جمع جاثٍ من جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جُثيّا وجِثياً" كما في قوله تعالى: {ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا} [مريم: ٦٨]" (صحيح ابن حبان) مرجع سابق (١٤/ ١٢٧), وينظر: (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة) مرجع سابق (٢/ ٥٥٤).

[8] [يوسف: ١٠٣]

مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ, فَعِنْدَهَا يَشِيبُ الصَّغِيرُ {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ}... .[1]

***

ومن شواهد التصريحية أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: **[إِنَّها صَلاةُ رَغْبَةٍ ورَهْبَةٍ سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا ثَلاثَ خِصالٍ فأَعْطانِي اثنَتَيْنِ ومَنَعَنِي وَاحِدةً سألْتهُ أَن لَا يُسحِتَكمْ بِعَذَابٍ أصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكمْ فأَعْطانِيها وسأَلْتُهُ أَن لَا يُسَلّطَ على بَيْضَتِكمْ عَدُوّاً فَيَجْتاحها فأعْطانِيها وسأَلتهُ أَن لَا يُلْبِسَكمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكمْ بأْسَ بَعْضٍ فَمنَعنيها]** [٢].

وهذه دعوات ثلاث يدعو بها نبي الرحمة ربه عز وجل, تكشف عظيم شفقته بأمته, أولها: (ألّا يسحتكم بعذاب أصاب من كان قبلكم), والسُّحت: الاستئصال, يقال: أسحتَ الرجل: إذا استأصلَ ما عنده, وأسحتَ ماله: أفسده[٣], ومنه قوله تعالى: {قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ}[٤], قال ابن عباس: أي: فيهلككم[٥], وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ألا يهلكنا – نحن أمته – بعذاب أصاب من كان قبلنا ممن طغا وبغا وتكبر عن عبادة الله وحده سبحانه, وقد ذكر القرآن الكريم ألوان

---

[1] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ١٣٥٣)

٢ صحيح الجامع الصغير وزيادته, مرجع السابق (١/ ٤٧٨), وجاء في معجم الطبراني عن سبب ورود الحديث: "عن أبي مالك الأشجعي, ثنا نافع بن خالد الخزاعي, عن أبيه – وكان من أصحاب الشجرة – قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم صلاةً فأخفّ وجلس, فأطال الجلوس, فلما انصرف قلنا: يا رسول الله أطلت الجلوس في صلاتك قال: [إنها صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاث خصال ..." فذكره, (المعجم الكبير) الطبراني (٤/ ١٩٢)

٣ ينظر: (تاج العروس) مرجع سابق (٤/ ٥٥٠)

٤ [طه: ٦١]

٥ ينظر: (جامع البيان) الطبري (١٨/ ٣٢٦)

العذاب التي وقعت عليه فأبداتهم على بكرة أبيهم -إلا من كتب الله نجاته منهم- ومنها: الهلاك بالغرق كما كان في شأن قوم نوح وفرعون, قال تعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}[1], أو هلاك بالريح كما حصل لقوم عاد:{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)}[2], أو استئصال بالصيحة كما في أمر قوم صالح {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}[3], أو هلاك بالحجارة كما في شأن قوم لوط {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}[4], وقد قضت رحمة الله وحكمته أن يجيب دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فالحمد لله رب العالمين.

وثاني دعواته صلى الله عليه وسلم: (ألا يسلط على بيضتكم عدوا فيجتاحها), والاجتياح في اللغة –أيضا- الاستئصال, جاء في لسان العرب: الجَوْحُ والاجتياح: الاستئصال, والجائحة: الشِّدة والنازلة التي تجتاح المال من سَنة أو فتنة, وكلُّ ما استأصله: فقد جاحه واجتاحه[5], والمراد بالعدو هنا: الكفار, بدليل قوله صلى الله عليه وسلم – في رواية أخرى-: [وإنّي سأَلْتُ رَبّي لأُمَّتي أنْ لَا يَهْلِكُوا بِسَنةٍ عامّةٍ وَلَا يُسَلِّطَ علَيْهِمْ عدُواً مِنْ سَوى أنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيَضَتَهُمْ][6], أما قوله (بيضتهم) فقيل المراد: جماعتهم, جاء في لسان العرب: البيضة: أصل القوم ومجتمعهم, وبيضة

[1] [الزخرف: ٥٥]
[2] [الحاقة: ٦ – ٨]
[3] [القمر: ٣١]
[4] [هود: ٨٢]
[5] ينظر: (لسان العرب) (٢/ ٤٣١)
[6] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٣٦٤)

الدار: وسطها ومعظمها, وبيضة الإسلام: جماعتهم[1], "والبيضة أيضًا العز، والبيضة أيضًا الملك"[2] وعليه فهي استعارة تصريحية شبّه مُلك المسلمين وموضع أمرهم ومستقر دعوتهم بالبيضة, ووجه الشبه الحفظ والصون والأمان, لأن هلاك أصل البيضة هلاك لكل ما فيها من طعم وفرخ, كذلك المسلمين, إذ ذهب سلطانهم وأصيبوا في عقر دارهم فذلك إيذانٌ بزوالهم وهلاكهم[3], وقيل المراد بالبيضة (الخوذة)[4] وهي كناية عن الجهاد ورمز للملك والعز, من باب إطلاق المسبَّب على السبب, وهي استعارة تصريحية أيضاً شبّه ملك المسلمين وموضع التئامهم وجمعهم بخوذة الحرب إذ أن هلاك هذه الخوذة وتوقف الجهاد فيه هلاك المسلمين وبتر للإسلام وكذلك إصابة الأصل وموضع السلطان وهذا مما حفظه الله سبحانه فكانت إجابة نبيه صلى الله عليه وسلم, قال القاري: والنفي منصبٌّ على السبب والمسبَّب معا, فُيفهَم منه أنه قد يُسلِّط عليهم عدواً لكن لا يستأصل شأفتهم"[5].

وثالث دعائه صلى الله عليه وسلم (ألا يُلبسكم شيعاً ويُذيق بعضكم بأس بعض), "واللَّبس واللَّبَس: اختلاط الأمر, لبَسَ عليه الأمر يَلبسه لبساَ فالتبَسَ, إذا خلطَه عليه حتى لا يعرف جِهته, ومنه قولهم للمجنون: مُخالَط, والتَّلبيس: كالتَّدليس والتَّخليط, شُدِّد للمبالغة"[6], ومنه قول عنترة:

وكتيبـة لبّستهـا بكتيبـــة حتى إذا التبست نفضتُ لها يدي

وأما الشِّيعة, فهم "القوم الذين يجتمعون على الأمر, وكلُّ قوم أمرهم واحد يتبع

---

[1] ينظر: (لسان العرب) مرجع سابق (٧/ ١٢٧)

[2] (مطالع الأنوار على صحاح الآثار) إبراهيم الوهراني (١/ ٥٦١)

[3] ينظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر) مرجع سابق (١/ ١٧٢)

[4] ينظر: المرجع السابق (١/ ١٧٢)

[5] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٩/ ٣٦٧٧)

[6] (لسان العرب) مرجع سابق (٦/ ٢٠٤) بتصرف

بعضهم بعضاً فهم شِيَع, قال الأزهري: ومعنى الشِّيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متَّفقين"[1], وقد ورد هذا المعنى في إحدى آيات قدرته – سبحانه – قال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}[2], "قال ابن عباس وغيرُ واحد يعني يُسلِّط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل"[3], وقال القسطلاني: "أي يخلطكم فرقًا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام ومعنى خلطهم إنشاء القتال بينهم فيختلطون في ملاحم القتال, وقيل المعنى يجعلكم فرقًا ويثبت فيكم الأهواء المختلفة"[4], وقال ابن عاشور: "وتعدية فعل (يلبسكم) إلى ضمير الأشخاص بتقدير اختلاط أمرهم واضطرابه ومرْجِه, أي اضطراب شؤونهم, فإن استقامة الأمور تشبه انتظام السِّلك ولذلك سميت استقامة أمور الناس نِظاما, وبعكس ذلك اختلال الأمور والفوضى تُشبه اختلاط الأشياء ولذلك سمي مرْجا ولبْسا, وذلك بزوال الأمن ودخول الفساد في أمور الأُمّة ولذلك يُقرن الهرج وهو القتل بالمرْج وهو الخلط فيُقال: هم في هرج ومرج, وتشتت الشِّيَع وتعدد الآراء أشدُّ في اللَّبس والخلط؛ لأن اللَّبس الواقع كذلك لبسٌ لا يُرجى بعده انتظام"[5].

وهذه الدعوة الثالثة هي ما منعها الله سبحانه وتعالى و{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[6] وفي الحديث [عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ}, قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

---

[1] المرجع السابق (٨/ ١٨٨) بتصرف

[2] [الأنعام: ٦٥]

[3] (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) محمود الغيتابي (١٨/ ٢٢٥)

[4] (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) مرجع سابق (١٠/ ٣٢٥) بتصرف

[5] (التحرير والتنوير) مرجع سابق (٧/ ٢٨٤) بتصرف

[6] [الأنبياء: ٢٣]

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» قَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}, قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}, قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَهْوَنُ – أَوْ هَذَا أَيْسَرُ –][1], فاختار صلوات الله وسلامه عليه الثالثة "لِعلمه أن أَحدَها كائنٌ لا محالةَ"[2], وقوله صلى الله عليه وسلم– (هذا أهون وأيسر) "لِأَن الْفِتَن من المخلوقين وعذابهم أَهْون من عَذَاب الله وبالفتن ابْتليت هَذِه الْأمة"[3].

وثمة استعارة أخرى في قوله (ويذيق بعضكم بأس بعض) فالإذاقة هنا استعارة عن الإحساس بالألم, شبه ما يحصل للمسلمين من جراء الفتن من فرقة واختلاف وضرر وقتل بالطَّعمِ المر بجامع الاستياء والتأذي في كلٍّ, وقد تكررت هذه الاستعارة كثيراً في كتاب الله كما في قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[4], {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[5],{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[6], {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[7], يقول ابن عاشور[8]: "والذوق مستعار للإحساس بالكدر, شبّه ذلك الإحساس بذوق الطعم الكريه كأنهم رَاعَوا فيه سُرعة اتّصال ألمه بالإدراك ، ولذلك لم نجعله مجازاً مرسلاً بعلاقة الإطلاق إذ لا داعي لاعتبار تلك العلاقة، فإنّ الكدر أظهر من مطلق الإدراك, وهذا الإطلاق معتنى به في كلامهم، لذلك اشتهر

---

[1] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٦/ ٥٦)

[2] (فيض الباري على صحيح البخاري) محمد الديوبندي (٥/ ٢٦٠)

[3] (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) مرجع سابق (١٨/ ٢٢٥)

[4] [الدخان: ٤٩]

[5] [الأنفال: ٥٠]

[6] [السجدة: ١٤]

[7] [التغابن: ٥]

[8] (التحرير والتنوير) مرجع سابق (٧/ ٤٩–٥٠)

إطلاق الذوق على إدراك الآلام واللذّات"[1].

ومن شواهد الاستعارة كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **[إنّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَا يُشادُّ الدِّينَ أحدٌ إلاّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وقارِبُوا وأبشِرُوا واسْتَعِينوا بالغُدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيْءٍ منَ الدُّلْجَةِ]**[٢].

وهذا نص نبوي يحجم المتنطعين وينهى المُغالين المتكلفين من العمل ما لا يطيقون, وفيه يؤكد صلوات الله وسلامه عليه أن الدين ميسور, يذكر ذلك في سياقي توكيد ومبالغة, أما التوكيد فبإنَّ, وأما المبالغة فباستعماله صلى الله عليه وسلم المصدر (يسر) بدلاً من اسم المفعول (ميسور), إضافة إلى وضع اللفظ في قالب التنكير للتقليل[٣], كل ذلك إثباتٌ وتوكيدٌ على أن أحكام الدين الإسلامي جاءت بكل هين يسير وأن الله يقبل العمل الدائم القليل الخالص لوجهه سبحانه, وقد جاءت كثير من النصوص بذلك كقوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[٤] وقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[٥], وبما شرعه الله سبحانه من رخص, وبما ورد من نصوص ذم لغلو والتنطُّع, كقوله صلى الله عليه وسلم[٦]: [هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ[7]], وقوله في تقويم الفتية المتشددين: [أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ

---

[1] [الدُّخان: ٥٦]

٢ (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٣٣٣)

٣ ينظر: (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٤/ ١٢١٣-١٢١٤)

٤ [البقرة: ١٨٥]

٥ [الحج: ٧٨]

٦ (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ١١٨٣)

7 "قال ابن الأثير: هو مأخوذ ذمن النِّطع وهو الغار الأعلى في الفم, قال: ثم استعمل في كلّ من تعمُّقٍ قولاً وفعلا" (لسان العرب) مرجع سابق (٨/ ٣٥٧), "أي المتعمقون المتقعرون في الكلام الذي يرمون بجودة سبيكة سبي قلوب الناس أو أراد الغالين في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشرع, قال الغزالي: أولئك الذين شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم" (التيسير بشرح الجامع الصغير) عبد الرؤوف المناوي (٢/ ٤٨٠)

رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي][1].

ومشادة الدين مبالغة أريد بها التشدد[2], فديننا يحبب الاقتصاد ويثيب على التوسط ورغم ذلك ثمة من يتكلف من العمل ويشق على نفسه, ثم لا يلبث به الحال إلا إلى ضعف وملالة وعجز وبالتالي الغلبة, يقول القاري: "والمعنى أن من شدد على نفسه وتعمق في أمر الدين بما لم يجب عليه، فلربما يغلبه ما تحمَّلَه من الكلفة، فيضعف عن القيام بحق ما كُلِّف به"[3], ويقول ابن حجر: "وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى المَلال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة"[4], "ووضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تعظيمه والإنكار على من يشاده، أي: لن يبالغ في تشديد الدين الميسور أحد يستقر على وصف من الأوصاف إلا على وصف كونه قد غلبه ذلك الدين حيث كثره مع يسره، وقصد أن يغلب عليه بالزيادة فيه على ما شرع له تهورا ورهبانية ابتدعها ما كتبت عليه مع أن مآل أمره إلى أن يفتر ويعجز عنها ويعود ملوماً مقصرا"[5].

وعليه يأمر صلوات الله وسلامه عليه بالسداد وهو "القصد المستقيم الذي لا ميل فيه" والمقاربة تأكيداً للتسديد الآنف الأمر به, وبالتالي فليبشروا بكل خير وسلامة

---

[1] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٧/ ٢)

[2] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٣/ ٩٣٤)

[3] ينظر: المرجع السابق (٣/ ٩٣٤)

[4] (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ابن حجر العسقلاني (١/ ٩٤)

[5] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٣/ ٩٣٤)

ونعمة وكرامة[1], وقد "أبهم المبشر به تعظيما وتفخيما"[2].

ثم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن بما يساعده على الاقتصاد ويحفظه من الملال, فقال (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة), والغُدوة: "البُكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس"[3], "والرَّواح: نقيض الصباح, وقيل: الرواح العشيّ, وقيل: الرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل"[4], والمقصود "بالسير في السُّلوك أول النهار وآخره وهما زمان الرَّاحات والغفلات"[5], وتنكير (شيء) للتقليل[6], أما الدُّلجة فهي سير السَّحَر (آخر الليل)[7], "المعنى: استعينوا بالطاعة على تحصيل الجنة والمثوبة في الأوقات الثلاثة، والاستراحة في غيرها حتى لا تكسلوا ولا تتعبوا ولا تملوا ولا تخلوا، وقيل: استعينوا على قضاء حوائجكم، واستنجاح مقاصدكم بالصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل"[8].

وهنا تبرز الاستعارة, شبَّه استعانة المسلم بأوقات نشاطه للعمل بما يرضي خالقه سبحانه باستعانة المسافر بسيره في هذه الأوقات التي تنشط فيها الدواب للسير ببرد الهواء, وبالتالي تُقطع فيها المسافات وهي استعارة تصريحية[9] تبعية[10], ووجه الشبه: التناوب بين العمل والراحة واكتمال النشاط عند العمل والسير, وتحقيق مأرب الوصول إلى رضا الله في المشبه وإلى حيث تكون وجهة المسافر في المشبه به,

---

[1] ينظر: المرجع السابق (٣/ ٩٣٥)

[2] (فيض القدير) مرجع سابق (٢/ ٣٢٩) بتصرف

[3] (لسان العرب) مرجع سابق (١٥/ ١١٦)

[4] المرجع السابق (٢/ ٤٦٤)

[5] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٣/ ٩٣٥)

[6] المرجع السابق (٣/ ٩٣٥)

[7] ينظر: (لسان العرب) مرجع سابق (٢/ ٢٧٢)

[8] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٣/ ٩٣٥)

[9] ينظر: (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) مرجع سابق (٢/ ٣٩٠)

[10] "هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف" (مفتاح العلوم) السكاكي (٣٨٠)

والغدوة والروحة كناية عن وقت النشاط, أما الدُّلجة فكناية عن (فراغ القلب)[1], "وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا بالحقيقة دار نقلة للآخرة"[2].

- **المبحث الثالث: من بلاغة الكناية[3]:**

والكناية لونٌ ثالثٌ بديعٌ من البيان, لها قيمته في حفز الملتقي إلى إعمال الفكر, وتنشيط الحسِّ, وهي "غايةٌ لا يصل إليها إلا من لطف طبعهُ، وصفت قريحتُه، والسر في بلاغتها أنها في صُور كثيرة تُعطيك الحقيقة، مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيّها برهانها"[4].

وما من شكٍّ أن الكناية أبلغ من الإفصاح, والتعريض أوفى من التصريح؛ لأن "المركوز في الطبع أنَّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى وبالمزيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأَشْغَف"[5], ولمزاياها تلك كثرت في أحاديثه صلى الله عليه وسلم, بل وإنها – في أحاديث حفظ الدين تحديدا– قد علت وغلبت غيرها من صور البيان السابق ذكرها.

ونذكر من شواهدها قوله صلى الله عليه وسلم: **[لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ أَوْ ذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قالُوا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قالَ فَمَنْ؟]**[6], وهذا نص نبوي في التحذير من الابتداع وحذو طريقة

---

[1] ينظر: (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) مرجع سابق (٢/ ٣٩٠)

[2] (فيض القدير) مرجع سابق (٢/ ٣٢٩)

[3] "الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك" (مفتاح العلوم) مرجع سابق (٤٠٢)

[4] (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع) مرجع سابق (٢٩٣)

[5] (أسرار البلاغة) مرجع سابق (١٣٩)

[6] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ٩٠٣)

السابقين في أهوائهم وبدعهم, والسُّنَن جمع سُنَّة, وهي في اللغة: "(السِّيرَة) حسنة كانت أو قبيحة ",والمراد هنا طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم, من تغيُّر دينهم وتحريف كتابهم"[١], ويرسم لنا صلوات الله وسلامه عليه صورة بيانية لتوضيح مقدار هذا الاتباع وحدوده في قوله (حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه), والضَّب: "دويبة من الحشرات معروف,"[٢], والجُحر: "كل شَيْء تحتفره الهوام وَالسِّبَاع لأنفسها، والجمع أجْحارٌ وجِحَرَةٌ"[٣] قال الثعالبي: "جعلوا الجُحرَ للضبِّ خاصة, واستعماله لغيره كالتجوُّز"[٤], وإنما اختير جحر الضب دون غيره "لشدة ضيقه ورداءته ونتن ريحه وخبثه"[٥] كما حدِّد اليهود والنصارى دون غيرهم, لكونهم "الغالبون المشهورون من أهل الكتاب, وغيرهم مندرسون, فإذا أطلق (من قبلكم) فهم المراد, وكان غيرهم غير موجودين في الاعتبار عند الإطلاق"[٦], و وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ أننا نبصر عياناً مقدار ما تخطوه أجيال الأمة في تقليد لأمم الكفر في شتى زواياها من أخلاق وعادات وغيرها, مما يتفشى به الفساد وتنتشر به الرذيلة ويستوجب يقظة تنجلي بها الأذهان وتصح بها الفعال[٧].

وقوله (شبرا بشبرا وذراعا بذراع) "كناية عن شدة الموافقة لهم في عاداتهم رغم ما فيها من سوء وشر ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه"[٨], وفي رواية: **[ليحْملَنّ شرار هذه الأمّة على سَنَنِ الذين خلَوا من قبلهم- أهل الكتاب- حذو القُذَّةِ**

---

[١] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٨/ ٣٣٦٠)

[٢] (لسان العرب) مرجع سابق (١/ ٥٣٨)

[٣] (المحكم والمحيط الأعظم) علي المرسي (٣/ ٧٣)

[٤] (تاج العروس) مرجع سابق (١٠/ ٣٧٣), وينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٨/ ٣٣٦١)

[٥] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٤/ ١٦٩)

[٦] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٨/ ٣٣٦١)

[٧] ينظر: (صحيح البخاري) مرجع سابق (٤/ ١٦٩)

[٨] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٤/ ١٦٩)

بالقُذَّة][1], **و**"(القُذَّة) : ريشة السهم وجمعها قُذَذ، وتكون أيضاً متساوية الأقدار، تُقَصّ كل ريشة على قدر الأخرى"[2],"وفي رواية ثالثة: **"لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"**[3], فقوله (حذو النعل بالنعل) كناية عن شدة الاتباع والاقتداء, "يقال: حذوتُ النعلَ بالنعل إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء)[4] وتخبر هذه الرواية – زيادة على غيرها من الروايات – بما يفضي به الحذو من هلاك لصاحبه بدلالة تعدية الفعل (يأتينّ) بـ (على) [5], كما في قوله تعالى: {مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }[6], وبما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه من انتهاء أمر كل فرقة مخالفة لسنته إلى النار أعاذنا الله منها.

كما أنه صلى الله عليه وسلم ليردف بمثالٍ يزيد النفس نفوراً من هذا الحذو المضل, كشفاً لحجم هذا الاتباع, وتوكيدا لشناعته وخطره, وذلك بقوله (حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك), والإتيان هنا كناية عن الزنا, أما الأم, فقد اختلف في تحديدها, فقيل: هي زوجة الأب – وهو الأظهر – " لأن الغرابة والاستبعاد فيه أكثر, ولذا قيده بعلانية"[7], وفي التمثيل بذلك تقبيح

---

[1] (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) مرجع سابق (٧/ ٩١٣)

[2] (جامع الأصول في أحاديث الرسول) المبارك ابن الأثير (١٠/ ٣٥)

[3] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (٢/ ٩٤٣)

[4] (تحفة الأحوذي) محمد المباركفوري (٧/ ٣٣٣)

[5] المرجع السابق (٧/ ٣٣٣)

[6] [الذاريات: ٤٢]

[7] (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٥٨)

لما يأتونه من متابعة الأمم في الضلالات والجهالات والبدع المقبحات"[1], نعوذ بالله من اتباع تعمى به الأفئدة, وتتلاشى به القيم, وينصهر به الشعور.

ومن شواهد الكناية أيضا قوله – صلى الله عليه وسلم – : **[إنّ الله تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي على ضَلالَةٍ ويَدُ الله على الجَماعَةِ مَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّار[2]]**, وهو نص نبوي من جملة أحاديث الحث على لزوم الجماعة والتحذير من فرقتهم, وسبق أن بيَّنا المراد بالجماعة: وهم أهل العلم والفقه[3], "وذلك أن الله سبحانه جعلهم حجة على خلقه، وإليهم تفزع العامة في دينها وهم تبع لها, روى المسيب بن رافع قال: كانوا إذا جاءهم شيء ليس في كتاب ولا في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سموه صوافي الأمراء، فجمعوا له أهل العلم، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق"[4].

والحديث طمأنة للمسلمين وقد اجتمعت قلوبهم واتحدت صفوفهم بأن أمرهم صواب إذ لا يجمعهم الله على باطل, وهذا ما يعنيه لفظ ضلالة هنا فهو "لفظ مطلق شامل لمعنى أنواع الضلالة من الاجتماع على إمام يقتدون به, وعلى حكم يستنبطونه, وعلى اعتقاد يعتقدونه"[5] وبالرغم من أن هذا النفي النبوي كافٍ في بعث السكينة والتمسك بلزوم الجماعة إلا أنه أتبعه صلوات الله وسلامه عليه بكناية أعظم وأوفى في قوله (ويد الله على الجماعة), فـ (يد الله) كناية عن النصرة والغلبة, وقيل عن السكينة والأمن والرحمة, وقيل هي كناية عن الإحسان والإنعام

---

[1] (التنوير شرح الجامع الصغير) محمد الحسني (٩/ ٢٠٣)

[2] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٣٧٨)

[3] (شرح السنة) الحسين البغوي (١/ ٢١٦)

[4] ينظر: (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) عمر الشافعي (٣٢/ ٣٣٧)

[5] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٤٣)

بالتوفيق في استنباط الأحكام[1], ولطالما كانت (اليد) رمزاً لكل هذه المعاني, كما في قوله تعالى[2]: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}[3], وقول الشاعر:

وما من يد إل يد الله فوقها ولا ظالمٌ إلا سيُبلى بظالمِ[4]

فهذه كرامات لازم الجماعة, أما من (شذّ) أي خرج وانفرد, من "شذذ: شَذَّ عَنْهُ يَشِذُّ ويَشُذُّ شُذُوذًا: انْفَرَدَ عَنِ الْجُمْهُورِ وَنَدَرَ"[5], فذلكم خروج ينتهي بصاحبه إلى النار والعياذ بالله, وقد وضح العلماء ماهية الشذوذ المنهي عنه هنا, فهو "الشذوذ الذي يشق به صاحبه عصا الإسلام، ويثير به الفتن المنهي عن إثارتها، كشذوذ الخوارج والرافضة وأمثالهم مما يظهر آناً فآناً لا الشذوذ في أحكام الاجتهاد"[6].

ومن شواهد الكناية أيضاً قوله – صلى الله عليه وسلم –: **[إنّ لكلِّ شَيْءٍ شِرَّةً ولكلِ شِرَّةٍ فَتْرَةً فإنْ صاحبُها سَدَّدَ وقارَبَ فارْجُوهُ وإنّ أُشِيرَ إلَيْهِ بالأصابعِ فَلا تَعُدُّوه]**[7], والشِّرة في اللغة: "النشاط والرغبة"[8], وخلافها الفَترة, وهي: "الانكسار

---

[1] ينظر: المرجع السابق (٢/ ٦٤٣), و(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٦١), و (جامع الأصول) مرجع سابق (٩/ ١٩٦), ويصح أن يقال: هي مجاز مرسل علاقته السببية, لكون اليد سبب في البذل والإحسان والنصرة والغلبة وغيرها.

[2] [الفتح: ١٠]

[3] قيل في معنى اليد في الآية: "قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم" (جامع البيان) مرجع سابق (٢٢/ ٢١٠)

[4] البيت لصالح بن عبد الله بن مغفل في صيد الأفكار, يُنظر:(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال) حسين المهدي(١/ ٦٣٧)

[5] (لسان العرب) مرجع سابق (٣/ ٤٩٤)

[6] (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (١/ ٢٧٩)

[7] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٤٣٠)

[8] (لسان العرب) مرجع سابق (٤/ ٤٠١)

والضَّعف, يقال: فتَرَ فلانٌ يفتُر ويفتِر فُتُوراً وفُتاراً: سَكنَ بعد حدَّةٍ ولان بعد شِدَّة"[1], وهذا الحديث في الدعوة إلى التوسط والقصد في العبادة, وكشف لما تجنيه المبالغة وشدة الاستزادة من انتهاء إلى الفتور وجلب للملال المؤدي إلى التقصير, وخلافه المقتصد المتكلف من العمل ما يطيق, وما أيقن ديمومته عليه في كل الحال, كما في حديث: [أَحَبُّ الأَعْمالِ إِلَى الله أَدْوَمُها وإِنْ قَلَّ][2], وحديث: [اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ][3], ومن لزم ذلك فيُرجى له بإذن الله الفواز والفلاح, كما في تقدير محذوف الأمر (فارجوه), أما موضع الكناية في الحديث فقوله (وإن أشير إليه بالأصابع) وهو كناية عن التفات الغير وإعجابه بفعل المُبالِغ المتكلِّف[4], إذ من بالغ وأكثر وتكلَّف فذلك يُخشى عليه من عظيمة الرياء, يُخشى أن يكون تكلُّفه طمعاً في تزكية الغير له وطلباً في شهرة التزهُّد, وذلك مما يُفضي بصاحبه إلى الهلاك والخسران إلا أن تتداركه رحمة الله سبحانه[5].

***

ومن شواهدها – كذلك – قوله – صلى الله عليه وسلم –: **[سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ]**[6], وهذا الحديث إخبار عما سيكون في آخر الزمان, من ظهور أناس يحدثون الناس بما لم يسمعوا ولا أباءهم وهذه كناية عن الكذب, ولعل المراد ما تعمدوه من "الأحاديث الكاذبة والعقائد الزائغة"[7] مما يهلك به كل مُقبِلٍ مُصدِّق,

---

[1] المرجع السابق (٥/ ٤٣) بتصرف

[2] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٩٥)

[3] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٨/ ٩٨)

[4] ينظر: (التنوير شرح الجامع الصغير) مرجع سابق (٤/ ٩٠)

[5] ينظر: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) مرجع سابق (٨/ ٣٣٣٦)

[6] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٦٨٤)

[7] (التيسير بشرح الجامع الصغير) مرجع سابق (٢/ ٦٧)

وقيل بل المراد رُواة الأحاديث الموضوعة[1], والتي تُوُعِّد صاحبها بالنار عياذا بالله, يقول صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ][2].

وعليه ينبغي للمسلم "أن لا يتلقى إلا عن ثقة عرف بالحفظ والضبط وشهر بالصدق والأمانة عن مثله حتى ينتهي الخبر إلى الصحابي"[3], كما أنَّ في قوله (أنتم ولا أباءكم), "إشارةٌ إلى أنَّ ما استقرَّت معرفتُه عند المؤمنين مع تقادُمِ العهد وتطاول الزَّمان، فهو الحقُّ، وأنَّ ما أحدث بعد ذلك مما يستنكر، فلا خيرَ فيه"[4] وهذه من جملة الأخبار الغيبة التي جاء بها أصدق خلق الله صلوات الله وسلامه عليه, صوناً لأمته وحفظاً لها ما تمسكت بسنته من بعده.

***

ولعلَّ آخر ما نقف عليه من شواهد الكناية قوله – صلى الله عليه وسلم – : **[أَلا إنّي أوتِيتُ الكِتابَ ومِثْلهُ مَعَهُ أَلا يُوشكُ رُجُلٌ شَبْعانٌ على أرِيكَتِهِ يَقولُ علَيْكمْ بِهذا القرْآنِ فَما وجَدْتمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فأَحلُّوهُ وَمَا وَجَدْتمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرّموهُ أَلا لَا يَحِلُّ لكمْ لحْمُ الحِمارِ الأهْليّ وَلَا كلّ ذِي نابٍ منَ السَّبُعِ وَلَا لُقْطَةُ مُعاهَدٍ إلاَّ أنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صاحِبُها ...]**[5].

وهذا نص نبوي في التحذير من مخالفة سننه صلى الله عليه وسلم مما لم يأتِ بها القرآن[6], قال الخطابي: "قوله أوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين من التأويل:

---

[1] ينظر: المرجع السابق (٢/ ٦٧), و(فيض القدير) مرجع سابق (٤/ ١٣٢)

[2] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٢/ ٨٠)

[3] (فيض القدير) (٤/ ١٣٢)

[4] (جامع العلوم والحكم) عبد الرحمن السلامي (٢/ ٧٣٨)

[5] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٥١٦)

[6] ينظر: (جامع الأصول) مرجع سابق (١/ ٢٨٣)

أحدهما أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو، ويحتمل أن يكون معناه أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ويعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن"[1].

وموضع الشاهد قوله (ألا يوشك رجل شبعان على أريكته) وهو كناية عن صفة أصحاب الثراء والترف, الذين لزموا البيوت, وتكاسلوا عن طلب العلم والفقه عن الله ورسوله[2], يقول الطيبي: "إنما وصفه بـ (الشبعان) لأن الحامل له على هذا القول إما البلادة وسوء الفهم، ومن أسبابه الشبع وشره الطعام وكثرة الأكل, وإما البطر والحماقة, ومن موجباته التنعم والغرور بالمال والجاه, والشبع يكنى به عن ذلك"[3], وهذا ما يتضمنه لفظ (متكئ) -أيضا- في الرواية الأخرى: [أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنّي وهُوَ مُتَّكِئٌ على أريكَتِهِ[4] فَيقولَ بَيْنَنا وبَيْنَكمْ كِتابُ الله فمَا وجَدْنَا فِيهِ حلاَلاً اسْتَحْلَلْناهُ وَمَا وَجَدْنا فِيهِ حَرَاماً حَرَّمْناهُ وإنّما حَرَّمَ رَسُولُ الله كَمَا حَرَّمَ الله][5].وقوله (على أريكته) "تأكيدٌ وتقريرٌ لحماقة القائل وبطره وسوء أدبه"[6].

وتبرز قيمة هذه الكناية في الكشف عن سبب هذا الضلال المتمثل في قول هذا الجاهل (عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من

---

[1] (معالم السنن) مرجع سابق (٤/ ٢٩٨)

[2] ينظر: (جامع الأصول) مرجع سابق (١/ ٢٨٣)

[3] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٢٩-٦٣٠)

[4] " الأريكة: السرير في الحَجَلَة من دونه سِتر ولا يسمى منفرداً أريكة, وقيل: هو كل ما اتُكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة" (لسان العرب) مرجع سابق (١٠/ ٣٩٠)

[5] (صحيح الجامع الصغير وزيادته) مرجع سابق (١/ ٥١٨)

[6] (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٣٠)

حرام فحرموه) فهي دعوة مضلَّة إلى الاكتفاء بأوامر الله ونواهيه في كتابه الكريم, ورفض سواها مما تضمنته سنته صلى الله عليه وسلم, والتي أمرنا بامتثالها لكون هذا الدين لا يتأتى إلا بحذوهما جنباً إلى جنب قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[1], وقال صلى الله عليه وسلم: [كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى][2].

وقوله (ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها) إيرادُ أمثلةٍ من ذلكم الضال على ما لا ينبغي قبوله مما لم يرد في كتاب الله, وعليه فهذا الحديث عظيم في صون معتقد المؤمن وحفظا له من تلك المخالفة المفضية إلى الهلاك, هذا في باب من فضَّل القرآن على السنة, فكيف بمن نحاهما جميعا تعصباً للرأي والمذهب[3] ؟!

---

[1] [المائدة: ٩٢]

[2] (صحيح البخاري) مرجع سابق (٩/ ٩٢)

[3] ينظر: (الكاشف عن حقائق السنن) مرجع سابق (٢/ ٦٣١)

(الخاتمة)

الحمد لله وكفى, والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى, وبعد:

فقد تناول هذا البحث أحاديث حفظ الدين, وأبان ما تضمنته من طرائق تصون الملة وتحمي صاحبها من منزلق الفتن والأهواء, وقصد الباحث في رحلته تلك تلمُّس بلاغته صلى الله عليه وسلم, وما سخَّره من أساليب وصور بيانية كان لها عظيم الأثر في تقريب المعنى وتجلية الفكرة وبثِّ اليقظة في زوايا المسلم.

ويمكن إجمال نتائج البحث وما انتهى إليه في النقاط الآتية:

١- تتلخص سُبلُ حفظ الدين في النص النبوي في أربعة: التمسك بالكتاب والسنة وعدم الابتداع, لزوم الجماعة, القصد في العبادة, ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وهذا الأخير مما لم يُوقف عليه في ثنايا البحث لخلوه من الصور البيانية من وجهة نظر الباحثة.

٢- تعتبر الكناية من أكثر القوالب البيانية تسخيراً في أحاديث حفظ الدين, ولها قيمتها في إشباع عقل المتلقي وحفزه لفهم المعنى في دائرة "بيان المقدار" خاصة, كما في "بيان شدة موافقة الأمة لليهود والنصارى", كما أن لها تأثيرا في إيقاظ روح المسلم وتبصيره بما يسكنه ويهلكه كما في صورة "إشارة الأصابع", إضافة إلى ما تبرزه الكناية من معانٍ ثانوية تدعم المسلم في رحلة الحفظ هذه كما في الكناية عن "كذب الواضعين ملفقي الأحاديث", وقد تكون الكناية كشفاً للسبب وإيضاحاً لعلة, كما في شأن "المتكئ" وقد قاده جهله وبطره نحو الصدود عن السنة والعياذ بالله.

٣- أما التشبيه فرتبته الثانية في أحاديث حفظ الدين, وقد كثر في بابي لزوم الجماعة والتمسك بالكتاب والسنة, كاشفاً عن أهمية هذه الملازمة, وأثر هذا التمسك في صون المسلم وحفظ ملته كما في صورة "العضِّ على النواجذ", ومبيناً مدى خطر الخروج عنهما كما في صورة "جريان داء الكلب في عروق صاحبه".

٤- أما الاستعارة فتكثر في نصوص التمسك بالكتاب والسنة, وقد سُخِّرت لأغراض عِدَّة, كالتحذير وكشف خطر المخالفة كما في صورة "خلع ربقة الإسلام", أو إيضاحاً لما ورد من أدوية نبويّة ناجعة, كداءِ التكلُّف وقد عُولج بالقصد في صورة "الاستعانة بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".

٥- من بديع ما خلفته الصور البيانية في نصوص حفظ الدين, تحقيق غرضي الحفز والتنفير, كونهما الهدف الأول التي جرت لأجله على لسان نبينا الكريم, بما أثمرته من دفع المتلقي نحو الانقياد لأوامر الدين, وحفزه للديمومة عليها, ونفوره بأشد الجهد من كل هوى ومزلقٍ وابتداع.

والصلاة والسلام على من سار النورُ معه، و فيّح الطيب مضجعه, وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

(ثبتُ المراجع)

- ابن أمير حاج, أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد, (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م), التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام, ط٢، دار الكتب العلمية.

- الأثير, نصر الله بن محمد, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة, دار الفجالة – القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الألباني, محمد, (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م), صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير), أشرف على طبعه: زهير الشاويش, ط٣, المكتب الإسلامي.
- الألباني, محمد, (١٤١٥/ ١٤٢٢هـ - ١٩٩٥ / ٢٠٠٢م), سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها, الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- أمين, بكر شيخ, (١٩٨٤م), البلاغة العربية في ثوبها الجديد "علم البيان", ط٢, بيروت: دار العلم لملايين.
- البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبد الله, (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م), صحيح الأدب المفرد, حققه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني, ط٤, دار الصديق للنشر والتوزيع.
- البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبد الله, (١٤٢٢هـ), صحيح البخاري, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
- البُستي, محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد, (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م), الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان, ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي, تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط, بيروت: مؤسسة الرسالة.
- البغوي, الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء, (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م), شرح السنة, تحقيق: شعيب الأرنؤوط, محمد زهير الشاويش, ط٢, دمشق - بيروت: المكتب الإسلامي.

- البيضاوي, عبد الله بن عمر, (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م), تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة, تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب, الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الجاحظ, عمرو, (١٤٢٣ هـ), البيان والتبيين, بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الجراحي, إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي, (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م), كشف الخفاء ومزيل الإلباس, تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي, المكتبة العصرية.
- الجرجاني, عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة, تحقيق: محمود محمد شاكر, القاهرة: مطبعة المدني, جدة: دار المدني.
- الجزري, المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني, ابن الأثير, (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م), النهاية في غريب الحديث والأثر, تحقيق: طاهر أحمد الزاوي, محمود محمد الطناحي, بيروت: المكتبة العلمية.
- الجزري, المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني, ابن الأثير, (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م إلى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م), جامع الأصول في أحاديث الرسول, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير , تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط, التتمة تحقيق: بشير عيون, مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان - دار الفكر.
- الحسني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد, (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م), التنوير شرح الجامع الصغير, تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم, الرياض: مكتبة دار السلام.
- الحمزاوي, محمد, (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م), الخصائص البلاغية للبيان النبوي, مكتبة رشد.

- حمودة, طاهر, (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م), جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي, بيروت: المكتب الاسلامي.
- الخطابي, حمد, (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م), معالم السنن، (شرح سنن أبي داود), حلب: المطبعة العلمية.
- دراز, محمد عبد الله, الدين, بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان, الكويت: دار القلم.
- الديوبندي, محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري, (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م), فيض الباري على صحيح البخاري, تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي, بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازي, أحمد بن فارس بن زكريا, (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م), معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر.
- الرافعي, مصطفى, (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م), إعجاز القرآن والبلاغة النبوية, ط٨, بيروت: دار الكتاب العربي.
- الزَّبيدي, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق, تاج العروس من جواهر القاموس, دار الهداية.
- زرزور, عدنان محمد, (١٤١٠ / ١٤١١ هـ -١٩٩١), سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد, مجلة مركز بحوث السنة والسيرة, العدد ٥.
- الزمخشري, محمود, (١٤٠٧هـ), الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, ط٣, بيروت: دار الكتاب العربي.
- السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي, (١٤٠٧ هـ), الشفا بتعريف حقوق المصطفى, ط٢, عمان: دار الفيحاء.

- السكاكي, يوسف, (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م), مفتاح العلوم, ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور, ط٢, بيروت: دار الكتب العلمية.
- السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي, (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م), جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم, تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور, ط٢, دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشاطبي, إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي, (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) الموافقات, تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان, دار ابن عفان.
- الشافعي, عمر بن علي بن أحمد, (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م), التوضيح لشرح الجامع الصحيح, تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث, دمشق: دار النوادر.
- الشافعي, محمد, (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م), دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين, تدقيق: خليل مأمون شيحا, ط٤, بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشريف, عوني نعيم, وعبد الحميد, علي حسن, (١٤٠٦هـ), ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته على الأبواب الفقهية, الرياض: مكتبة المعارف.
- الشيباني, محمد, (١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م), حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه, القاهرة: مكتبة السدّاوي.
- الصديقي، محمد, (١٤١٥هـ), عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته, ط٢, بيروت: دار الكتب العلمية.

- الصعيدي, عبد المتعال, (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م), بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة, ط١٧, مكتبة الآداب.
- الطبراني, سليمان بن أحمد بن أيوب, المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, ط٢, القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

- الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب, (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م), جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة.
- الطيبي, الحسين بن عبد الله, (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م), شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن), تحقيق: عبد الحميد هنداوي, مكة المكرمة – الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- عاشور, محمد, (١٩٨٤هـ), التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», تونس: الدار التونسية للنشر.
- عتيق, عبد العزيز, (١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م), علم البيان, بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

- العسقلاني, أحمد, (١٣٧٩هـ), فتح الباري شرح صحيح البخاري, رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي, أخرجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب, علق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز, بيروت: دار المعرفة.
- العسكري, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران, (١٤١٩هـ), الصناعتين, تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم, بيروت: المكتبة العنصرية.

- الغيتابي, محمود, عمدة القاري شرح صحيح البخاري, بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفارابي, إسماعيل بن حماد الجوهري, (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م), الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, ط٤, بيروت: دار العلم للملايين.
- القاري, علي, (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م), مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, بيروت: دار الفكر.
- القاضي الجرجاني, أبو الحسن علي بن عبد العزيز, الوساطة بين المتنبي وخصومه, تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- القرشي, إسماعيل بن عمر بن كثير, (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م), تفسير القرآن العظيم, تحقيق: سامي بن محمد سلامة, ط٢, دار طيبة للنشر والتوزيع.
- القزويني, محمد بن عبد الرحمن بن عمر, الإيضاح في علوم البلاغة, تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي, ط٣, بيروت: دار الجيل.
- القسطلاني, أحمد, (١٣٢٣هـ), إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري, ط٧, مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- القيروان, الحسن بن رشيق, (١٤٠١هـ - ١٩٨١م), العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, ط٥, دار الجيل.
- الكجراتي, محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي, (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م), مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار, ط٣, مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

- لاشين, عبد الفتاح, (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م), من بلاغة الحديث الشريف, السعودية: عكاظ للنشر والتوزيع.
- المباركفورى, محمد, تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي, بيروت: دار الكتب العلمية.
- المباركفوري, عبيد الله, (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م), مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح, ط٣, بنارس- الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية.
- المثقّب العبدي, (١٣٩١هـ-١٩٧١م), الديوان, شرح وتحقيق: حسن كامل الصيرفي, جامعة الدول العربية: معهد المخطوطات العربية.
- المحبي, محمد, خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر, بيروت: دار صادر.
- المرسي, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده, (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م), المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, بيروت: دار الكتب العلمية.
- المناوي, عبد الرؤوف, (١٣٥٦هـ), فيض القدير شرح الجامع الصغير, مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- المناوي, عبد الرؤوف, (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م), التيسير بشرح الجامع الصغير, ط٣, الرياض: مكتبة الإمام الشافعي.
- منظور, محمد, (١٤١٤هـ), لسان العرب, ط٣, بيروت: دار صادر.
- المهدي, حسين بن محمد, صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال, مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.

- موسى, محمد بن علي بن آدم, (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م), مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه, الرياض: دار المغني.
- هادي, عصام, (١٤٣٢هـ - ٢٠٠٣م), محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته, الجبيل: دار الصدّيق.
- الهيثمي, علي بن أبي بكر, (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م), مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, تحقيق: حسام الدين القدسي, القاهرة: مكتبة القدسي.
- الوهراني, إبراهيم بن يوسف بن أدهم, (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م), مطالع الأنوار على صحاح الآثار, تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث, قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- يوسف, عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله, (١٣٨٣م), شرح قطر الندى وبل الصدى, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, ط١١, القاهرة.

(فهرس الموضوعات)

- المقدمة

.....

.... (١-٢)

- التمهيد
.....
.. (٣-١٢)

١/ بلاغة النُّبوة
.....(٣-٥)

٢/ الكشف عن المصطلح (الدِّين)
.....(٥-٧)

٣/ التعريف بمؤلف صحيح الجامع الصغير وكتابه..... (٧-٩)

- المبحث الأول: من بلاغة التشبيه
.....(٩-١٤)
- المبحث الثاني: من بلاغة الاستعارة
.....(١٤-٢١)
- المبحث الثالث: من بلاغ الكِناية
.....(٢٢-٢٧)
- الخـاتمـة.....
.....(٢٨)

- ثبتُ

المراجع.....

....(٢٩-٣٣)

- فهرس

الموضوعات.....

.....(٣٤)